أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

تقرير تحليلي

«حلف الأطلسي»
يُحدث تحوُّلات إستراتيجية في سياسته
تعزيز القدرات لمواجهة روسيا والصين

إعداد: رومان حداد

أيلول / سبتمبر 2022

dimensioncenter.net

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

مركز تفكير يُعنى بدراسة شؤون منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، ويُقدّم للقارئ العربي رؤية موضوعية لشؤون المنطقة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
ويسعى المركز إلى تقديم محتوى يخاطب المختصين والمهتمين، بلغة بعيدة عن لغة الخبراء والفنيين والأكاديميين، وبتكثيف يتناسب مع متطلبات العصر الحديث، وما يستلزمه من إيجاز يُلبي احتياجات الباحثين والقراء.

www.dimensionscenter.net

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز أبعاد للدراسات الاستراتيجية - ©2022

info@dimensionscenter.net

وافق «حلف شمال الأطلسي» (الناتو) في ختام قمته التي عقدها في العاصمة الإسبانية مدريد يومَيْ 29 و 30 حزيران / يونيو 2022، على إعلان وثيقة إستراتيجية جديدة هي الأولى منذ عام 2010، تحوّلت فيها روسيا من دولة شراكة طويلة الأمد إلى «أكبر تهديد مباشر» لأعضاء الحلف، ما يعكس التدهور الكبير في علاقات الحلف مع موسكو على مدى العقد المنصرم. ولم تتوقف التحوّلات في الوثيقة الإستراتيجية الجديدة عند تلك النقطة، بل امتدت لتطاول الصين التي كان ينظر إليها الحلف على أنها شريك تجاري ودّي وقاعدة تصنيعية داعمة له، لتصبح بكين اليوم تحدّياً لأمن الحلف ومصالحه وقِيَمه، يلفّ الغموض إستراتيجيتها ونواياها وتعزيزاتها العسكرية.

يتهم الحلف في الوثيقة الإستراتيجية الجديدة روسيا، بالسعي إلى إقامة «مناطق نفوذ» إقليمية ودولية، والسيطرة المباشرة من خلال الإكراه والتخريب والعدوان والضمّ، باستخدام وسائل تقليدية عسكرية وإلكترونية، وهجينة (مختلطة) لتحقيق هذه الأهداف، ضدّ الحلف وشركائه. واعتبرت الوثيقة تعزيزات موسكو العسكرية، بما في ذلك في مناطق البلطيق والبحر الأسود والبحر المتوسط، إلى جانب تكامُلها العسكري مع بيلاروسيا، تحدّياً أمنياً لدوله الأعضاء.

وعبّرت الوثيقة عن رفض الدول الأعضاء التهديدات الروسية باستخدام السلاح النووي ضدّ أعضاء الحلف، بالإضافة إلى قَلَق الحلف من التحديثات التي تقوم بها روسيا لقواتها النووية وتطويرها لأنظمة إطلاق جديدة ومدمرة ذات قدرة مزدوجة، في إشارة إلى تطوير موسكو لأسلحة تفوق سرعتُها سرعةَ الصوت يمكنها حمل رؤوس نووية، قد تنقلها إلى دول أخرى، ما قد يُوسّع دائرة الخطر نحو مناطق أخرى.
واتهمت الوثيقة الجديدة الصين، باستخدام عمليات هجينة وإلكترونية خبيثة فضلاً عن خطاب المواجهة والمعلومات المضللة، لاستهداف أعضاء حلف «الأطلسي» والإضرار بأمن الحلف ومصالحه.

وتُدلّل الوثيقة الإستراتيجية على مخاوف الحلف من طموحات بكين الاقتصادية، مؤكدة أن الأخيرة تسعى إلى السيطرة على القطاعات التكنولوجية والصناعية الرئيسة والبِنْية التحتية الحيوية والمواد الإستراتيجية وسلاسل التوريد، عَبْر استخدام نفوذها الاقتصادي، لخلق كيانات إستراتيجية تابعة لها بهدف تعزيز نفوذها.

وعبّرت الوثيقة الإستراتيجية أيضاً، عن القلق من توثيق العلاقات بين موسكو وبكين وتعزيز إحداهما محاولات الأخرى لتقويض النظام الدولي القائم على القواعد، مؤكدة بقاء انفتاح الحلف على الحوار البنّاء مع الصين، مع استعداد الدول الأعضاء لمواجهة الأساليب القسرية التي تتبعها والجهود المبذولة من قِبَلها لتقسيم الحلف.
وتعهد الحلف في الوثيقة الجديدة بأن يعمل بشكل كبير، على تعزيز وسائل الردع والدفاع لأعضائه، عَبْر نشر قوات أكثر قوة وجاهزية للقتال على حدوده الشرقية الأقرب إلى روسيا، وذلك ردّاً على تحرّكات موسكو التوسعية، مؤكداً في الوقت نفسه أنه لا يسعى إلى المواجهة معها وإنما إلى الحوار.

وتجدر الإشارة إلى أن فنلندا والسويد في طريق الانضمام إلى «الأطلسي» رسمياً بعد الانتهاء من مصادقة الدول الأعضاء [1]، وهو ما سيزيد من وجود الحلف على الحدود مع روسيا، مع العلم أنه بقي الباب مفتوحاً أمام كل من أوكرانيا [2] وجورجيا [3] للانضمام ، وهو ما سيصعّد الضغوط على الحدود الروسية أكثر فأكثر.

وخلال القمة، أعلن الرئيس الأمريكي جو بايدن اعتزامه نشر قوات أمريكية إضافية براً وبحراً وجواً في أنحاء أوروبا، من إسبانيا في الغرب إلى رومانيا وبولندا على الحدود مع أوكرانيا، تضمن إنشاء مقر دائم للجيش الأمريكي به كتيبة من القوات في بولندا، وذلك في أول انتشار أمريكي دائم على الحدود الشرقية لحلف «الأطلسي» [4].

(1)Ratification of Finland and Sweden's Accession to NATO, Finland & Sweden Accession, NATO Parliamentary Assembly: nato-pa.int/content/finland-sweden-accession
(2) «Relations with Ukraine», NATO, 2022/07/08: nato.int/cps/en/natohq/topics_37750.htm
(3) «Relations with Georgia», NATO, 2022/07/14: nato.int/cps/en/natohq/topics_38988.htm
(4) «First U.S. reinforcement troops arrive in Poland, more expected», Reuters, 2022/02/05: reut.rs/3LgCUBE

وخلال جلسة نقاشية على هامش القمة، أعلن وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن أن حلف «الأطلسي» سيواجه الصين إذا تحدّت النظام العالمي بطريقة أو بأخرى، مشيراً إلى أن إدراجها في الوثيقة الإستراتيجية الجديدة للمرة الأولى في تاريخ الحلف، ليس محاولة لخلق أزمة، وإنما تأكيد على اتحاد الدول الأعضاء في المحافظة على مبادئ النظام العالمي، ومواجهة أيّ تهديد قد يطرأ من الصين أو غيرها [5].

ويُذكر أنه قبل يوم من قمة الناتو في مدريد، أعلن المتحدث باسم مجلس الأمن القومي الأمريكي جون كيربي أن أعضاء الحلف لديهم مخاوف متزايدة بشأن ممارسات الصين التجارية غير العادلة، واستخدام العمالة القسرية، وسرقة الملكية الفكرية، وأنشطة التنمّر والإكراه، ليس فقط في المحيطين الهندي والهادئ، ولكن في جميع أنحاء العالم [6].

وعلى ضوء ما تضمنته الوثيقة الإستراتيجية الجديدة حول بقاء قنوات الحوار مع موسكو وبكين مفتوحة، وتأكيد حلف «الأطلسي» عدم رغبة الحلف في المواجهة المباشرة مع روسيا، يبدو أن استهداف الأخيرة والصين لن يكون فقط ضِمن حدودهما، بل في أماكن وجود نفوذهما في أرجاء العالم، وأن تلك الإستراتيجية الجديدة لن تواجه رأس «الأخطبوط»، بل ستستهدف أذرعه، إلى أن تسقط الارتباطات فيما بينها وبين العقل المركزي في موسكو، ما سيؤدي إلى شَلَلِه.

ولا بُدّ من الإشارة إلى أن الدور الروسي في القارة السمراء ما زال له حضور مميز. وعلى سبيل المثال، شهدت تشاد التي يُنظر إليها كأحد أبرز معاقل الوجود الفرنسي في القارة، تظاهُرات، في نهاية شهر شباط/ فبراير 2022، تطالب بخروج القوات الفرنسية التي تحتفظ بقواعد عسكرية عدة في البلاد، ورفع مئات المحتجين العَلَم الروسي إلى جانب العَلَم التشادي، ورددوا شعارات تطالب بدعم الدور الروسي في تشاد [7].

متظاهرون يلوحون بالعلم الروسي خلال مظاهرة في نجامينا، تشاد، 26 فبراير 2022. - المصدر: DJIMET WICHE / AFP©

(5) Secretary Antony J. Blinken And Spanish Foreign Minister Jos» Manuel Albares At the NATO Public Forum, US Department of State, 2022/06/29: bit.ly/3ROLB8z

(6) On-the-Record Press Call by NSC Coordinator for Strategic Communications John Kirby and Assistant Secretary for Defense Celeste Wallander, The White House, 2022/06/29: bit.ly/3BG5Xve

(7) تظاهرة في تشاد ضد المجلس العسكري الحاكم وفرنسا»، «فرانس 24»، 2022/02/26: bit.ly/3RZ6Bcg

وفي الفترة الأخيرة، حققت موسكو اختراقاً مهمّاً في واحدة من أبرز مناطق النفوذ الفرنسي في الساحل الإفريقي، وتحديداً في مالي، من خلال دعم المجلس العسكري الحاكم. وعملت روسيا رغم الحرب ضد أوكرانيا، على تزويد المجلس بمعدات عسكرية ومروحيات قتالية ورادارات حديثة لمكافحة الإرهاب.

وتُفضل السلطات في مالي التعامُل في الإطار العسكري، مع الروس على التعامُل مع الفرنسيين، كون المعدات العسكرية الروسية أقل ثمناً، فضلاً عن تحكّم باريس في تحرّك أي معدات عسكرية تقوم ببيعها للجيش المالي.

وفي ظل العقوبات الغربية المفروضة على روسيا بسبب العملية العسكرية ضدّ أوكرانيا، وإستراتيجية الناتو الجديدة، فقد أصبح لزاماً على الحلف مواجهة موسكو ونفوذها المتمدد في تشاد ومالي. وأشار إلى هذا الأمر وزير الخارجية الإسباني خوسيه مانويل ألباريس، حيث تحدث عن إمكانية تدخّل قوات «الأطلسي» في مالي إذا كان ذلك ضرورياً، بحجة محاربة الإرهاب، الذي قد يُشكّل تهديداً لأمن دول التحالف [8]، وهو الإرهاب نفسه الذي تحدث عنه أمين عامّ الحلف ينس ستولتنبرغ، عندما أشار إلى أن مهمة الناتو في العراق تهدف إلى منع عودة تنظيم "داعش" من جديد [9].

قد يختلف مفهوم الإرهاب في الوثيقة الإستراتيجية الجديدة عن مفهومه التقليدي لدى الحلف. فعلى الرغم من إعلان الرئيس الأمريكي جو بايدن أنه لا يجب وصف روسيا بأنها دولة راعية للإرهاب [10]، حيث تماشى مع موقف الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون في هذا الشأن [11]، إلا أن مفهوم الإرهاب الذي سيحاربه الحلف أينما كان، في تشاد ومالي والعراق وسورية وليبيا، قد يكون مُبرّراً لمحاربة نفوذ روسيا الخارجي، ومن خلفها الصين.

التحرّك لمُواجَهة النفوذ الروسي في الخارج بدأ في اليوم التالي من إعلان الوثيقة الإستراتيجية الجديدة. فبعد تصريحات وزير الخارجية الإسباني حول محاربة الإرهاب في إفريقيا، وتصريحات ستولتنبرغ حول مكافحة داعش، أعلنت لندن أنها سترسل خبراء عسكريين إلى البوسنة والهرسك لمواجهة نفوذ روسيا ومساعيها لتأجيج نيران الانفصال والطائفية هناك، ولتدعيم مهمة حلف «الأطلسي» وتعزيز الاستقرار والأمن في المنطقة [12].

(8) «Spain's foreign minister does not rule out NATO intervention in Mali», Reuters, 2022/06/30: https://reut.rs/3dqDUXk
(9) «NATO to expand Iraq mission to around 4,000 personnel», France 2021/02/18 ,24: bit.ly/3dnhuWI
(10) «Russia should not be branded terrorism sponsor, Biden says», Reuters, 2022/09/5: reut.rs/3S83XBP
(11) «Macron refuses to designate Russia 'sponsor of terrorism'», RT, 2022/06/28: bit.ly/3xrHyab
(12) «UK deploys military experts to counter Russian malign influence in Bosnia and Herzegovina», UK Government, 2022/06/30: bit.ly/3Dyt387

ولوّح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالردّ بالمثل على الحلف في حال قام بنشر قوات أو بِنْية تحتية عسكرية في فنلندا والسويد، لكنه اعتبر في الوقت نفسه أن انضمام هاتين الأخيرتين للحلف أمر مختلف تماماً عن موضوع أوكرانيا بالنسبة لبلاده [13].

في سياق متصل، وصف نائب وزير الخارجية الروسي سيرغي ريابكوف، التوسع الإضافي للناتو، بأنه سيؤدي إلى زعزعة الاستقرار، ولن يحقق الأمن لأعضائه، معتبراً أن توجّه الحلف لاحتواء روسيا لن يؤثر بأي شكل من الأشكال على إمكانياتها [14].

وتجدر الإشارة إلى أن الخلافات ما زالت قائمة بين دول حلف «الأطلسي» في شأن كيفية التعامل مع الصين، إذ يرغب بعض الأعضاء في ضمان استمرار التركيز بشكل مباشر على روسيا، في حين أن الولايات المتحدة، أقوى عضو في المنظمة، صنّفت الصين على أنها «أخطر تحدٍّ طويل الأمد للنظام الدولي»، بمرتبة تفوق مرتبة الخطر الروسي. وقد أشار ستولتنبرغ إلى ضرورة تعزيز الشراكة بين الحلف والشركاء في المحيط الهادئ [15]، ما يشير إلى الرغبة الأمريكية في الدرجة الأولى، في تعزيز التحالفات لكبح نفوذ الصين.

الرئيس الصيني شي جين بينغ استشعر سريعاً خطر الوثيقة الإستراتيجية الجديدة لحلف الناتو على نفوذ بلاده والرسائل التي بعثها الحلف إلى موسكو وبكين، فشرع بزيارة إلى هونغ كونغ لإثبات وحدة أراضيه، حيث أكد خلال تصريحاته من هناك على مبدأ «دولة واحدة ونظامان»، في رسالة إلى الحلف مفادها أن هونغ كونغ صينية، وأن تايوان هي أيضاً صينية، ولن يُسمح لأي طرف خارجي بمنازعة الصين عليها أو التدخّل في شؤونها [16].

ورأى مسؤولون سابقون في وزارة الدفاع الأمريكية، أن المواجهة بين حلف «الأطلسي» والصين ليست بالضرورة عسكرية، ويمكن أن تكون اقتصادية، وأن الحلف ليس مُجمِعاً على رأي واحد في طريقة التعامُل مع بكين، وحيال تايوان أيضاً، إذ إن لدى فرنسا وألمانيا مُقارَبةً مختلفةً في هذا الشأن. وأكد هؤلاء المسؤولون السابقون أن كل القرارات التي يتخذها الحلف يجب أن تكون بالإجماع، ما يعني أن العمل في مواجهة الصين ربما لا يكون عسكرياً.

(13) Andrew Roth, «Putin issues fresh warning to Finland and Sweden on installing Nato infrastructure», The Guardian, 2022/06/29: bit.ly/3eXPvxr
(14) « Calling NATO exclusively defensive alliance is ridiculous, disgraceful — Lavrov», Tass News Agency, 2022/07/01: https://bit.ly/3qMHbmH
(15) Press conference by NATO Secretary General, NATO, 2022/06/29: bit.ly/3S2R3o6
(16) Theodora Yu and Christian Shepherd, «China's President Xi arrives in Hong Kong for handover anniversary», The Washington Post, 2022/06/30: wapo.st/3xAEYyz

أبعاد
للدراسات الإستراتيجية

\DimensionsCTR
\dimensionscenter
\DimensionsCTR
\dimensionscenter

info@dimensionscenter.net